

شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد العويد

توحيد(٣) الدرس العاشر

باب ما جاء في الإقسام على الله

أما لو أقسم على الله تألياً وإعجاباً بنفسه فلاشك في تحريمه، كما في الحديث الأتي.

قال المؤلف رحمه الله:

عن جندب بن عبد الله رضي الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا اغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك) رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أو بقت



شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد العويد

دنياه و آخرته.

الشرح: فيه مسائل:

المسألة الأولى: الحديث دليل على تحريم الإقسام على الله تألياً.

المسألة الثانية: التألي على الله تعالى من الإعجاب المذموم بالنفس، وهو محرم؛ بل هو سبب في حبوط العمل، وفي حديث الباب: "فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ".

باب لا يستشفع بالله على خلقه

الاستشفاع بالله على خلقه، من انتقاص الله تعالى؛ "لأنه جعل مرتبة الله أدنى من مرتبة المشفوع إليه؛ إذ لو كان أعلى مرتبة ما احتاج أن يشفع عنده، بل يأمره أمرا والله عز وجل لا يشفع لأحد من خلقه إلى أحد؛ لأنه أَجَلّ وأعظم من أن يكون شافعا" القول المفيد 7/٢ ٥٠.

قال المؤلف رحمه الله:

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (سبحان الله! سبحان الله!) فما زال يسبح حتى عرف ذلك في عليه وسلم: (ويحك، أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه) وذكر الحديث. رواه أبو داود.

الشرح: فيه مسائل

المسألة الأولى: الاستشفاع بالله تعالى أن يقول: نستشفع بالله عليك، كما في الحديث.

المسألة الثانية: يحرم الاستشفاع بالله على أحد من خلقه؛ بل هو أمر عظيم وكبير، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "سبحان الله!"



شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد العويد

تعظيماً للكلمة وما تحتويه من معنى فاسد.

المسألة الثالثة: الجهل بقدر الله تعالى وعظمته سبب لما يقع فيه كثير من الناس من إساءة الأدب معه سبحانه، وقد قال الله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتُ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} الزمر ٦٧.

والعلماء أعظم الناس تقديراً له سبحانه؛ لما يعرفونه من أسمائه وصفاته وقدرته؛ ولذا فهم أكثر الناس خشية له، قال سبحانه: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } فاطر ٢٨.

باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد، وسده طرق الشرك

حماية التوحيد من الوقوع في الشرك، أعظم مطلوب؛ لأن الله تعالى لا يغفر الشرك، قال تعالى: {إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشْاءُ وَمَن يُشْرِكُ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً } النساء ٤٨.

وطرق الشرك كثيرة، ولحماية التوحيد لابد من سد أبواب الشرك، ولذا حرم الله تعالى كل وسيلة إلى الشرك، وحذر النبي صلى الله عليه وسلم من أي وسيلة شركية توصل إلى الشرك، وقد ثبت عَنْ أبي هُرَيْرَة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَتِ الدَّوَابُ وَالْفَرَ اللهُ يَقَعْنَ فِيهِ، فَأَنَا آخِذُ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ» مَتفق عليه.

قال المؤلف رحمه الله:

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه، قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا، فقال: (السيد الله تبارك وتعالى). قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً؛ فقال: (قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان) رواه أبو داود بسند جيد.

الشرح: فيه مسائل

المسألة الأولى: السيادة المطلقة لله تعالى، التي لا يشاركه فيها أحد، وفي



شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد العويد

هذا الحديث ذكر السيد معرفاً بالله وخصها بالله تعالى، دلالة على أن المقصد بها السيادة المطلقة، والتي يحرم أن تطلق على غير الله.

المسألة الثانية: السيادة المقيدة تجوز، وقد ثبت في ذلك أدلة:

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ» رواه مسلم.

" عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ هُوَ ابْنُ مُعَاذٍ، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ، فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُومُوا إِلَى سَيّدِكُمْ» فَجَاءَ، فَجَاسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَوُلاَءِ سَيّدِكُمْ» فَجَاءَ، فَجَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَوُلاَءِ نَزُلُوا عَلَى حُكْمِكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ أَنْ تُقْتَلَ المُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى الذُّرِيَّةُ، قَالَ: «(لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ المَلِكِ» متفق عليه.

* عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ ، أَخْبَرَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ عُمَرُ يَقُولُ: ﴿أَبُو بَكْرِ سَيِّدُنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا يَعْنِي بِلاَلًا ﴾ رواه البخاري.

لله عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَنْهُ، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: "لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ وَضِيَّ رَبَّكَ، اسْقِ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَفَتَاتِي وَغُلاَمِي" مَتْفَق عليه.

المسألة الثالثة: بناء على ما سبق من أحاديث فيجوز أن يقول: سيدي أو سيدنا، لكن يتنبه إلى أن لا يستجره ذلك إلى الغلو، وهو ما خشيه النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولذا فقد قال: "ولا يستجرينكم الشيطان".

قال المؤلف رحمه الله:

وعن أنس رضي الله عنه، أن ناساً قالوا: يا رسول الله: يا خبرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: (يا أيها الناس، قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد، عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل). رواه النسائي بسند جيد.

الشرّح: فيه مسائلً

المسألة الأولى: الغلو محرم، وقد ثبت عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ ﴿ الْقُطْ لِي حَصَّى ﴾



شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد العويد

فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصَيَاتٍ، هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّهِ وَيَقُولُ «أَمْثَالَ هَوُلَاء، فَارْمُوا» ثُمَّ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُ فِي الدِّينِ» رواه أحمد وابن ماجه.

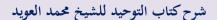
والغَلو من طرق الأمم السابقة وليست من ديننا وشريعتنا، قال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ} المائدة٧٧.

أَمّا هذه الأمة فهي أمة الاعتدال والوسط، قال سبحانه: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً } البقرة ٢٤٣.

المسألة الثانية: يجوز إطلاق سيد على من يستحق ذلك، مع أن الأولى عدم إطلاقها؛ لأن الألقاب التي فيها مبالغة تتعارض مع التواضع.

المسألة الثالثة: تواضع النبي صلى الله عليه وسلم، مع استحقاقه للقب سيد، فهو خير البشر وأفضلهم عند الله تعالى، ومع ذلك ينهى صحابته وأمته عن الإكثار من ألفاظ المدح، وقد ثبت عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ» متفق عليه.

وْ ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "لاَ يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى" متفق عليه.





باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقَيَامَة_{﴾(}١٢٣) الآية.

قال المؤلف رحمه الله:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد! إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك والثرى على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَمَا قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

وفي رواية لمسلم: والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الله. وفي رواية للبخاري: يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع) أخرجاه.

الشرح: فيه مسائل

المسألة الأولى: عظمة الله تعالى وقدرته لا تحدها حدود، فلا تحيط بها الأفهام ولا تدركها العقول.

المسألة الثانية: المشركون لا يقدرون الله تعالى حق قدره، ولو قدروه ما



شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد العويد

أشركوا به.

المسألة الثالثة: الحديث دلالة على جانب من قدرته سبحانه، فالسموات التي لا تدركها العقول ولا تحيط بها الأرقام، يضعها الجبار على أصبع، فكيف بالإنسان البسيط.

المسألة الرابعة: الملك الحقيقي لله تعالى، قال جل وعز: {يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَن الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} غافر ٦٦.

المسألة الخامسة: إثبات صفة الأصبع لله تعالى على وجه يليق بجلاله وعظمته من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل.

قال المؤلف رحمه الله:

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: (يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون.

وروي عن ابن عباس، قال: (ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم).

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس) قال: وقال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض).

الشرح: فيه مسائل

المسألة الأولى: في الآخرة يعرف المشركون حقيقة شركهم عندما يعانون شدة مهانتهم وعظمة خالقهم، فيحشرون كالناس مجردين من كل شيء

المسألة الثانية: إثبات صفة اليدين لله تعالى على وجه الحقيقة، من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل.



شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد العويد

المسألة الثالثة: كلتا يدي الرحمن يمين، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَنَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينُ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَمَا وَلُوا» رواه مسلم.

وقوله في الحديث: ثم يأخذهن بشماله، قال ابن باز رحمه الله تعالى: قال الشيخ ابن باز رحمه الله: "كلها أحاديث صحيحة عند علماء السنة، وحديث ابن عمر مرفوع صحيح، وليس موقوفا، وليس بينها اختلاف بحمد الله، فالله سبحانه توصف يداه باليمين والشمال من حيث الاسم، كما في حديث ابن عمر وكلتاهما يمين مباركة من حيث الشرف والفضل، كما في الأحاديث الصحيحة الأخرى".

المسألة الرابعة: السموات السبع كلها صغيرة بالنسبة للكرسي، والكرسي صغير بالنسبة للعرش، والحديث فيه بيان عظم تلك الفروقات، وهي دلالة على عظمة خالقهن سبحانه وتعالى.

قال المؤلف رحمه الله:

وعن ابن مسعود قال: (بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم). أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمه عن عاصم عن زر عن عبدالله ورواه بنحوه عن المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل تدرون كم بين السماء والأرض؟) قلنا: الله ورسوله أعلم قال: (بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بنى آدم). أخرجه أبو داود وغيره.

الشرح: ما بين السموات مسافات هائلة لا يعلم مداها إلا الله تعالى، وما فيها من مخلوقات لا يعلم حصرها إلا هو سبحانه، وهي دلالة على عظمته وقوته وقدرته سبحانه، وما ورد في هذين الأثرين جزء يسير من مخلوقاته. وخلق الإنسان ليس بشيء عند تلك المخلوقات العظيمة، قال سبحانه:



شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد العويد

{لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} غافر ٥٧.

فالواجب على المسلم أن يعلم قدره وأنه مخلوق ضعيف لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، وأن أمره إلى الله تعالى الذي خلقه فسواه فعدله، فيعمل بأوامره ويجتنب نواهيه، ويعظم أمره.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.